الدِّيَانَةُ الإِبْرَاهِيميّةُ

بيضاءُ نقيّة

تأليف/ د. وسيم فتح الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خَلَقَ الخَلْقَ لِيعبدوه، وأرسل الرسلَ لِيدعو الناس إليه ويوحِّدوه، وأنزل الكتب تشريعاً ورحمةً لِيطيعوه ولا يعصوه، وختم الرسالات بشريعة محمدٍ صلى الله عليه وسلم على الحنيفية السمْحَة كما كان عليها الرسل الذين سبقوه، أما بعد؛

فإن الله تعالى قد خلق الخلق لغاية واحدة بيَّنَها في كتابه الحكيم فقال: **(وما خلقْتُ الجِنَّ والإنْس إلا لِيعْبدون)**[1]، وأرسل إليهم الرسل لِيعرفوه ويعبدوه فقال: **(هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق لِيُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِهَ المشركون)**[2]، فمن أطاع الرسل وسار على هديهم فاز ونجا، ومن خالف وشاقّ ففي دركات الجحيم قد هوى.

وإن مما ابتلي به المسلمون على مر الأيام أناسٌ يُلبّسون عليهم دينهم ليصرفوهم عنه، ويُزَيّنون لهم الباطل بشتى أنواع الغَرور ليستميلوهم إليه، وكان مِن هذا الباطل القديم الجديد محاولةُ تمييع الدين الحق، دين الإسلام، تحت مسمَّى "وَحدة الأديان" تارة، وتحت مسمَّى "الديانات الإبراهيمية" تارة، بل ويقيمون بيوت العبادة على سَنن مسجد الضِرار لِيُرمى منها وبها الإسلام، ولِيُدعَى فيها غيرُ الله من صاحبةٍ وولَد، ثم يُنسب ذلك كله زوراً وبهتاناً إلى خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام تلبيساً على الناس، وافتراءً على الله ورسوله، وصداً للناس عن الصراط المستقيم يبغونها عِوَجاً بعد أن تركَنا عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيضاء نقية، ليلُها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك.

ولقد استعنت بالله في جمع هذه الرسالة الموجزة لِتُبيَّن الواضح، وتقرر اليقين في زمانٍ أصبح الناس يُشكّكّون فيه بكل شيءٍ مِن ثوابت هذا الدين العظيم، وبكل شيءٍ من مُقتَضيات الفطرة السليمة، وسألت المولى عز وجل أن يضمَّني ومَن

---

[1] سورة الذاريات – آية ٥٦
[2] سورة الصف – آية ٩

قرأ هذه الرسالة طالباً للحق إلى فريق المؤمنين به وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم على مِلَّة أبينا إبراهيم وما كان من المشركين، وأن يجعلها حجةً فاصلةً بيننا وبين المكذبين بالله وبكلامه وبرسوله في يومٍ لا ينفع فيه مالٌ ولا بَنون، إلا مَن أتى الله بقلبٍ سليم.

وجعلت هذه الرسالة على أبواب ترجمت لها بعنوان، وذكرت ما يناسب عنوان الترجمة من كلام الله عز وجل، وأتبعتُ الترجمة والآية بمواضع الاستشهاد والدلالة مع الربط بمسألة البحث ما استطعت، وذِكر ما يناسب الترجمة من أحاديث السنة النبوية المطهرة الصحيحة مكتفياً بما يؤدي المقصود دون بسط ولا استيعاب، **وهو بيان عقيدة وديانة خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام** ومن انتحل سنَّته من بعده. وأُنبِّه على بعض الأبواب[3] التي تقتضي العمل باللسان والجوارح أن يكون ذلك وِفق ميزان الشريعة وضوابط إنكار المنكر التي بيَّنها العلماء دون هرج ومرج، فكل منكَرٍ يؤدي إنكاره في ظرفٍ معين إلى منكرٍ أشد منه فلا يُشرع إنكاره في تلك الحال حتى يرتفع المانع، والله أعلم.

وأسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يعفو عن الزلل وأن يتقبل ما وفق إليه من الصواب، وأن يهدي أمة الإسلام إلى التزام الحق **فإننا على أبواب معارك كبرى تمس أصول ديننا وثوابت شريعتنا**، ولئن لم يكن الأساس العقدي ثابتاً متيناً فلن نستطيع أن نتصدى لهجمات أعدائنا التي تستهدف كل ثوابتنا من إيمانٍ بالله، ومن إقامةٍ لشرع الله، ومن حفظٍ لفطرة الله.

---

[3] مثاله: باب هدم مسجد الضرار

باب: دين إبراهيم هو الإسلام، ولا يقبل الله ديناً غير الإسلام،

وقول الله تعالى: **(ومَن يَبتَغِ غَيرَ الإسلامِ ديناً فَلَن يُقبَلَ مِنه)**[4]

وقول الله عز وجل: **(ومَن يَرغَبُ عن مِلَّة إبراهيمَ إلّا مَن سَفِه نفسَه)**[5]

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "**والذي نفْسُ محمدٍ بيده، لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسلت به إلا كان من أصحاب النار**"[6]؛

قال الإمام النووي رحمه الله:" فَفِيه نَسْخُ المِلل كلها برسالة نبينا صلى الله عليه وسلم"[7]،

وقال الله تعالى: **(إن الدِّينَ عند الله الإسلام وما اختلف الّذين أُوتوا الكتاب إلّا مِن بعدِ ما جاءهم العِلمُ بَغْياً بينهم ومَن يكفُر بآيات الله فإنَّ الله سريعُ الحساب)**[8]؛

قال الحافظ الإمام ابن كثير رحمه الله:" وقوله **(إن الدين عند الله الإسلام)** إخبارٌ من الله تعالى بأنه لا دِين عنده يقبلُه من أحدٍ سوى الإسلام، وهو اتّباع الرسل فيما بعثهم الله به في كل حين، حتى خُتِموا بمحمدٍ صلى الله عليه وسلم الذي سدَّ جميع الطرق إليه إلا من جهة محمد صلى الله عليه وسلم، فمن لقي الله بعد بعثته محمداً صلى الله عليه وسلم بدِينٍ على غير شريعته فليس بمُتقَبَّل"[9]،

وقال الإمام القرطبي رحمه الله: "ولفظ الذين أوتوا الكتاب يعمُّ اليهود والنصارى؛ أي **(وما اختلف الذين أوتوا الكتاب)** يعني في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم **(إلا من بعد ما جاءهم العلم)** يعني بيان صفته ونبوّته في كتبهم".[10]

---

[4] سورة آل عمران – آية ٨٥
[5] سورة البقرة – آية ١٣٠
[6] صحيح مسلم – حديث ١٥٣
[7] شرح النووي على صحيح مسلم ٣٤٢/١
[8] سورة آل عمران – آية ١٩
[9] تفسير ابن كثير – ٣٣/٢
[10] تفسير القرطبي – ٤٨/٤

وقال الله تعالى: **(ومَن يَبتغِ غير الإسلام ديناً فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)**[11]؛

قال الإمام أبو جعفر الطبري رحمه الله: (يعني بذلك جل ثناؤه: ومن يطلب غير دين الإسلام لِيَدين به فلن يقبل الله منه، **(وهو في الآخرة من الخاسرين)** يقول: من الباخسين أنفسهم حظوظها من رحمة الله عز وجل"[12]

قلت: فلمّا تبيّن أن الدين الحق واحدٌ هو الإسلام، ولَمَّا أخبر الله تعالى أنه لا يرغب – أي يميل – عن مِلّة إبراهيم إلا السفيه المغلوب على عقله، الساعي في غير مصلحة نفسه، دلَّ ذلك على أن دين إبراهيم عليه السلام هو الدين الموافق للحق وهو الإسلام.

[11] سورة آل عمران- آية ٨٥
[12] تفسير الطبري – ٣٠٥/٣

باب: دين الأنبياء واحد هو الإسلام

وقول الله تعالى: **(قولوا آمنَّا بالله وما أُنزل إلينا وما أُنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أُوتي موسى وعيسى وما أُوتي النبيّون مِن ربّهم لا نُفرّق بين أحدٍ منهم ونحن له مسلمون)**[13]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "أنا أَوْلَى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوةٌ لعَلّات، أمهاتهم شتّى ودينهم واحد"[14].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: " وأولاد العَلّات الإخوةُ مِن الأب وأمهاتهم شتى"[15]،

قلت: هذه إشارة إلى اتفاق الأنبياء في أصل الدين وعقيدة التوحيد مع وجود الاختلاف في بعض الشرائع.

فالإسلام دين الأنبياء جميعاً، وهو الدين الذي بعث الله تعالى به الرسل، وقد تنوعت بعض شرائع الرسل في بعض الأحكام، ولكنها اتفقت كلها على عقيدةٍ واحدةٍ، ومِلّةٍ قَيّمةٍ، هي عقيدة التوحيد، وملة الحنيفية السمحة، وهي عقيدة الإسلام التي هداهم الله إليها، وأمرهم بدعوة الناس للاهتداء بها ليهتدوا، خلافاً لمن زعم أن الهداية في غيرها كما فضح الله تعالى دعواهم حيث قال عز وجل: **(وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا قُلْ بلْ مِلّة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين)**[16]؛

فلقد جعل الله تعالى إبراهيم عليه السلام إماماً للناس ليقتدوا به في التزام عقيدة التوحيد وما ترتب عليها من تكاليف، واصطفاه الله تعالى بإضافة الحنيفية له ليجعله إماماً لمن بعده إلى قيام الساعة، لا لِيَنسِبوا إليه الكفر والشرك،

---

[13] سورة البقرة - آية ١٣٦
[14] صحيح البخاري - حديث ٣٤٤٣
[15] فتح الباري – ١٦٣/٧
[16] سورة البقرة – آية ١٣٥

قال الإمام الطبري رحمه الله:" فكيف أُضيفت الحنيفية إلى إبراهيم وأتباعه على ملته خاصة دون سائر الأنبياء قبله وأتباعهم؟ قيل: إنّ كل من كان قبل إبراهيم من الأنبياء كان حنيفاً متبعاً طاعة الله، ولكن الله تعالى ذِكرُه لم يجعل أحداً منهم إماماً لمن بعده مِن عباده إلى قيام الساعة كالذي فعل من ذلك بإبراهيم، فجعله إماماً فيما بيّنه من مناسك الحج والختان وغير ذلك من شرائع الإسلام يُقتدى به أبداً إلى قيام الساعة، **وجعل ما سنّ من ذلك عَلَماً مميزاً بين مؤمني عباده وكفارهم، والمطيع منهم له والعاصي، فسمي الحنيف من الناس حنيفاً باتباعه ملته واستقامته على هديه ومنهاجه، وسمي الضال عن ملته بسائر أسماء الملل، فقيل: يهودي ونصراني ومجوسي وغير ذلك من صنوف الملل**"[17]،

ولقد أمر الله تعالى عباده المؤمنين المستقيمين على ملة إبراهيم الحنيفية بالرد على دعوى اليهود والنصارى الكاذبة في كذبهم حين قالوا (**كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا**) فقال تعالى: (**قولوا آمنا بالله وما أُنزل إلينا وما أُنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرّق بين أحدٍ منهم ونحن له مسلمون**)[18]؛

قال الإمام الطبري رحمه الله: " (**لا نفرق بين أحدٍ منهم**) لا نؤمن ببعض الأنبياء ونكفر ببعض، ونتبرأ من بعض ونتولى بعضاً، **كما تبرأت اليهود من عيسى ومحمد عليهما السلام وأقرّت بغيرهما من الأنبياء، وكما تبرأت النصارى من محمد صلى الله عليه وسلم وأقرّت بغيره من الأنبياء؛** بل نشهد لجميعهم أنهم كانوا رسل الله وأنبياءه بُعثوا بالحق والهدى،

وأما قوله: (**ونحن له مسلمون**) فإنه يعني تعالى ذكره: ونحن له خاضعون بالطاعة، مذعنون"[19].

---

[17] تفسير الطبري – ٨١٣/١
[18] سورة البقرة - ١٣٦
[19] تفسير الطبري – ٨١٤/١

ولقد أخبر الله تعالى رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم باتفاق رسالته مع رسالة من كان قبله من الرسل حيث قال الله تعالى: **(إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوحٍ والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زَبوراً. ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلّم الله موسى تكليماً)**[20]؛

قلت: فدين الأنبياء جميعاً هو الإسلام، وإن من الكذب نسبة أحدهم إلى الشرك والكفر وعبادة المخلوقين، فضلاً عن أن يُنسب ذلك إلى من جعله الله تعالى إماماً في الإسلام لِمن بعده من الأنبياء والذرية، وهو خليل الرحمن إبراهيم الحنيف المسلم صلوات ربي وسلامه عليه.

[20] سورة النساء – آية ١٦٣-١٦٤

باب: اصطفاء إبراهيم عليه السلام للإمامة ولوصية التوحيد

وقول الله تعالى: (ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لَمن الصالحين. إذ قال له ربه أسلم قال أسلمتُ لرب العالمين)[21]

قال الإمام الطبري رحمه الله: " ويعني بقوله (**اصطفيناه**) اخترناه واجتبيناه للخِلّة، ولِنُصيّره في الدنيا لِمن بعده إماماً، **وهذا خبرٌ من الله تعالى ذكره عن أن مَن خالف إبراهيم فيما سنّ لمن بعده فهو لله مخالف، وإعلامٌ منه أن من خالف ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فهو لإبراهيم مخالف**، وذلك أن الله تعالى ذِكرُه أخبر أنه اصطفاه لخِلّته وجعله للناس إماماً، وأخبر أن دينه كان الحنيفية المسلمة، ففي ذلك أوضح البيان من الله تعالى ذكره عن أن مَن خالفه فهو لله عدوٌ لمخالفته للإمام الذي نصبه لعباده"[22]

وقال الله تعالى: (**ووصّى بها إبراهيمُ بَنِيهِ ويعقوبُ يا بَنِيَّ إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتنّ إلا وأنتم مسلمون**)[23]؛

قال الإمام الطبري رحمه الله: "ووصى بهذه الكلمة؛ أعني بالكلمة قوله: (**أسلمت لرب العالمين**) وهي الإسلام الذي أمر به نبيه صلى الله عليه وسلم وهو إخلاص العبادة والتوحيد لله، وخضوع القلب والجوارح له"[24].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يعوّذ الحسن والحسين ويقول: "إن أباكما كان يعوّذ إسماعيل وإسحاق، أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامّة ومن كل عينٍ لامّة"[25]؛

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: قوله "إن أباكما" يريد إبراهيم عليه السلام، وسماه أباً لكونه جداً أعلى"[26]،

---

21 سورة البقرة – ١٣٠-١٣١

22 تفسير الطبري – ٨٠٤/١

23 سورة البقرة – آية ١٣٢

24 تفسير الطبري – ٨٠٥/١

25 صحيح البخاري – حديث ٣٣٧١

26 فتح الباري – ٦٤/٧

قلت: **فهذا تحقيقُ وصية إبراهيم عليه السلام لذريته أن يدعوا الله وحده ويستعيذوا به وحده، ولقد أنفذ رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم وهو خاتم المرسلين وصية أبيه إبراهيم عليه السلام، وأكد الله تعالى برسالته رسالة أبيه إبراهيم عليه السلام، رسالة الإسلام لا غير.**

باب: تحقيق إبراهيم عليه السلام لتوحيد الربوبية

وقول الله تعالى: (وإذ قال إبراهيم ربَّ أَرِني كيف تُحي الموتى)[27]

لقد قام إبراهيم عليه السلام بتحقيق توحيد ربوبية الله عز وجل في مشاهد عدة رصدها لنا كتاب الله عز وجل، وحدثنا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال الله تعالى: **(ألم تَرَ إلى الذي حاجَّ إبراهيمَ في ربه أن آتاه الله المُلْك إذ قال إبراهيمُ ربي الذي يُحي ويُميت قال أنا أُحيي وأُميت قال إبراهيمُ فإنّ الله يأتي بالشمس مِن المشرق فأْتِ بها مِن المغرب فبُهِت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين)**[28]،

فجرَّد عليه السلام توحيدَ **الخلق** لله عز وجل، إذ الله تعالى وحده الذي يحيي ويميت، وجَرَّد له **الأمر** إذ الله تعالى وحده المتصرف في الكون يأتي بالشمس من المشرق ويأذن لها بالغروب من المغرب، فبيّن إبراهيم عليه السلام في موقف المواجهة مع مَن يدعي الْمُلك أن الله تعالى هو الخالق، وهو المالك، وله وحده الأمر فهو المتصرف، وهذه مقامات توحيد الربوبية الخالصة حققها جميعاً صلوات ربي وسلامه عليه.

كما أقام إبراهيم عليه السلام مقام توحيد الربوبية فيما بينه وبين الله إمعاناً في محبة ربه وخالقه، وانتقالاً من علم اليقين إلى عين اليقين شغفاً في الإطلاع على ما لا يطلع عليه أحد مما يكون بين الخِلّ وخليله،

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال: **(رب أرني كيف تحيّ الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي)**"[29]؛

---

[27] سورة البقرة – آية ٢٦٠

[28] سورة البقرة – آية ٢٥٨

[29] صحيح البخاري – كتاب التفسير – حديث ٤٥٣٧، وصحيح مسلم – حديث ١٥١

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله:" قوله **(بلى ولكن ليطمئن قلبي)** أي ليزيد سكوناً بالمشاهدة المنضمة إلى اعتقاد القلب، لأن تظاهر الأدلة أسكنُ للقلوب، وكأنه قال: أنا مصدّق ولكن للعيان لَطيفُ معنى"[30]،

ومعنى "نحن أحق بالشك" كما قال الإمام النووي رحمه الله عن جماعة من العلماء: "معناه أن الشك مستحيلٌ في حق إبراهيم، فإن الشك في إحياء الموتى لو كان متطرقاً إلى الأنبياء لكنت أنا أحق به من إبراهيم، وقد علمتم أني لم أشك فاعلموا أن إبراهيم عليه السلام لم يشك"[31]،

قلت: وهذا تواضعٌ من جناب النبي صلى الله عليه وسلم من جهة، وتقريرٌ لإمامة إبراهيم عليه السلام وإقامته أركان التوحيد، وهو هنا توحيد الربوبية من جهة أن الله تعالى وحده القادر على إحياء الموتى، فأقام الله تعالى الحجة على توحيد الربوبية على الخلق على يدي خليله إبراهيم عليه السلام، وسجل لنا هذا الموقف الفريد في كتابه الذي يُتلى إلى أن يرث الله الأرض ومَن عليها.

---

[30] فتح الباري – ٦٨/٧

[31] شرح النووي على صحيح مسلم – ٣٣٨/١

باب: تحقيق إبراهيم عليه السلام لتوحيد الألوهية

وقوله تعالى: (إنّي وجّهت وجهِيَ للّذي فَطَرَ السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين)[32]

فلقد قام إبراهيم عليه السلام بتحقيق توحيد الألوهية، وتوحيد الألوهية هو توحيد القصد والدعاء، فلا يقصد العبد بعمله غير الله تعالى، ولا يدعوا العبد لحاجته غير الله تعالى،

فحكى الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام إفراده الله تعالى وحده بالقصد بعبادته كما في آية الترجمة فقال: **(إنّي وجهتُ وجهِيَ للّذي فَطَرَ السماوات والأرض حنيفاً)**، وأكد توحيد الألوهية والقصد لله تعالى بنفيها عن غيره والتبرؤ من الشرك فقال: **(وما أنا من المشركين)** وهذا غاية ما يكون في تحقيق الأمر، إذ أثبت التوحيد ونفى ضده وهو الشرك.

فكيف يُنسب إلى إبراهيم عليه السلام الذي قام مقام الموحّد بألوهية ربه دينٌ يعتقد أهله أنَّ لله ولداً وصاحبةً يُقصدان بالعبادة من دونه، تعالى الله عمّا يقول الكافرون علواً كبيراً.

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال: "وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونُسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أُمرت وأنا من المسلمين"[33]،

قال الإمام النووي رحمه الله: " قوله "حنيفاً" قال الأكثرون: معناه مائلاً إلى الدين الحق، وهو الإسلام... وقال أبو عبيد: الحنيف عند العرب مَن كان على دين إبراهيم صلى الله عليه وسلم"[34]،

---

[32] سورة الأنعام – آية ٧٩

[33] صحيح مسلم – حديث ٧٧١

[34] شرح النووي على صحيح مسلم – ٣٩١/٢ باختصار يسير

وقال رحمه الله: " وقوله "وما أنا من المشركين" بيان للحنيف وإيضاحٌ لمعناه، **والمشرك يُطلق على كل كافر من عابد وثن وصنم ويهودي ونصراني ومجوسي ومرتد وزنديق وغيرهم**"[35]،

قلت: فهذه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم المطابقة لملة إبراهيم عليه السلام الحنيفية الخالصة التي توحد الله تعالى في القصد والعبادة بريئةً من الشرك وأهله كاليهود والنصارى، فكيف يسوغ لمن عنده أدنى مسكة عقل أن ينسب دين الشرك كاليهودية والنصرانية إلى ملة إبراهيم عليه السلام فيسميهما ديانةً إبراهيمية...

ويؤكد هذا التطابق بين دين الإسلام الذي بعث الله تعالى به خاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم وبين ملة إبراهيم الحنيفية السمحة، وتنافرهما عن ديانات الشرك كاليهودية والنصرانية أمرُ الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: (**قل إنّني هداني ربي إلى صراطٍ مستقيمٍ دِيناً قِيَماً مِلّة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين. قل إنَّ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين. لا شريك له وبذلك أُمرت وأنا أوّل المسلمين**)[36]؛

قال الإمام الطبري رحمه الله في تأويل الآية: " قل يا محمد – صلى الله عليه وسلم – لهؤلاء العادِلين بربهم الأوثانَ والأصنامَ (**إنني هداني ربي إلى صراطٍ مستقيم**) يقول: قل لهم: إنني أرشدني ربي إلى الطريق القويم هو دين الله الذي ابتعثه به، وذلك الحنيفية المسلمة، فوفقني له (**ديناً قِيماً**) يقول: مستقيماً (**ملة إبراهيم**) يقول: دين إبراهيم (**حنيفاً**) يقول: مستقيماً (**وما كان من المشركين**) يقول: وما كان من المشركين بالله، يعني إبراهيم صلوات الله عليه لأنه لم يكن ممن يعبد الأصنام"[37]،

قلت: فهذا تقرير إبراهيم عليه السلام لتوحيد الألوهية من جهة القصد والعبادة خالصاً لله تعالى في نسكه وهو الذبح، وصلاته، وحياته ومماته صلوات ربي وسلامه عليه، خلافاً لمن يقصد بعبادته بشراً مخلوقاً ينسبه ولداً إلى الله تعالى الله عن

---

35 شرح النووي على صحيح مسلم – ٣٩٢/٢
36 سورة الأنعام – آية ١٦١-١٦٣
37 تفسير الطبري – ٢٥٢/٥

ذلك علواً كبيراً، وينسب أمه صاحبةً لله ويجعلها أماً للإله، تعالى الله عن إفكهم هذا علواً كبيراً، ولولا الحاجة للبيان لما سطرنا هذا التزوير والكذب.

وأما تقرير إبراهيم عليه السلام لتوحيد الألوهية من جهة الدعاء والرجاء، فتأمل قول الله تعالى حكايةً عن إبراهيم عليه السلام: **(وحاجّه قومُه قال أتحاجّونيّ في الله وقد هدانِ ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاءَ ربّي شيئاً وَسِع ربي كلَّ شيءٍ علماً أفلا تتذكرون)**[38]؛

قال الإمام الطبري رحمه الله: " **(ولا أخاف ما تشركون به)** يقول: ولا أرهب مِن آلهتكم التي تدعونها من دونه شيئاً ينالني في نفسي من سوء ومكروه؛ وذلك أنهم قالوا له: إنا نخاف أن تَمَسَّك آلهتنا بسوءٍ مِن بَرَصٍ أو خَبَلٍ لذكرك إياها بسوء، فقال لهم إبراهيم: لا أخاف ما تشركون بالله من هذه الآلهة أن تنالني بضرٍ ولا مكروه لأنها لا تنفع ولا تضر، **(إلا أن يشاء ربي شيئاً)** يقول: ولكني خوفي من الله الذي خلقني وخلق السماوات والأرض، فإنه إن شاء أن ينالني في نفسي أو مالي بما شاء من فناء أو بقاء أو زيادة أو نقصان أو غير ذلك نالني به، لأنه القادر على ذلك"[39]،

قلت: فهذا توحيد إبراهيم عليه السلام للألوهية من جهة الخوف والرجاء ومثله ما يندرج تحت باب الدعاء، توحيدٌ خالصٌ لله ومسألةٌ خالصةٌ لربه ومولاه، لا دعاء فيه لصنمٍ ولا وثن، ولا رجاء فيه لمخلوقٍ أو صليبٍ أو كاهنٍ أو حَبر، وعلى هذا كانت السنة الخاتمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لُيعلم أن دين الإسلام هو وحده الدِّينُ الذي جاء به إبراهيم عليه السلام،

---

[38] سورة الأنعام – آية ٨٠

[39] تفسير الطبري – ٣٧/٥

وليُعلم أن مَن قَصَدَ بعبادته غير الله كالمسيح وأمه، وأن مَن قَصَدَ بطلبه ورجائه غير الله من كاهن أو قسيس آو حَبرٍ أو راهب أو عجلٍ أو صليبٍ فإنه ليس ممن ينتسب إلى دين إبراهيم عليه السلام، وليس من أهل الملة الحنيفية الخالصة، بل إن نسبة هؤلاء إلى إبراهيم عليه السلام ودينه نسبة باطلة مزورة وإفكٌ وافتراء محض.

باب: تقرير إبراهيم عليه السلام لتوحيد الأسماء والصفات

وقول الله عز وجل: (الحمدُ لله الذي وَهَبَ لي على الكِبَرِ إسماعيل وإسحاق إنَّ ربّي لَسَمِيعُ الدُّعاء)[40]،

وجواب إبراهيم عليه السلام لأم إسماعيل: إلى من تتركنا؟ قال: "إلى الله"

فهذه مرتبة توحيد الله تعالى في أسمائه القدسية وصفاته العَليّة بإثبات ما أثبته لنفسه العلية منها وأخبرنا عن ذلك منها، وتنزيه ما نزَّهَ نفسَه عنه سبحانه مما لا يليق بعظمته وجلاله (**ليس كمثله شيءٌ وهو السميعُ البصير**)[41]، ولقد حفظ لنا القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة قيام خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام بتحقيق مرتبة التوحيد هذه أيما قيام؛

ففي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما لما قدم إبراهيم عليه السلام بإسماعيل وأم إسماعيل إلى مكة: "حتى قدِم مكة فوضعها تحت دَوحةٍ، ثم رجع إبراهيم إلى أهله، فاتّبعته أمُّ إسماعيل، حتى لما بلغوا كدا نادته مِن ورائه: يا إبراهيم، إلى مَن تتركنا؟ قال: إلى الله، قالت: رضيت بالله"[42]،

وفي الرواية الأخرى: "ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق الزمزم في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذٍ أحد، وليس بها ماء فوضعهما هنالك، ووضع عندها جراباً فيه تمر وسقاءً فيه ماء، ثم قفّى إبراهيم منطلقاً، فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا في هذا الوادي الذي ليس فيه أنيسٌ ولا شيء؟ فقالت له ذلك مِراراً، وجعل لا يلتفت إليها، فقالت له: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذن لا يضيعنا، ثم رجعت، فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات ورفع يديه فقال: (**ربَّنا إنّي أسكنتُ مِن ذريّتي بوادٍ غيرِ ذِي زَرعٍ عند بيتك المحرّم**) حتى بلغ (**يشكرون**)[43]"[44]،

---

[40] سورة إبراهيم – آية ٣٩
[41] سورة الشورى – آية ١١
[42] صحيح البخاري – حديث ٣٣٦٥
[43] سورة إبراهيم – آية ٣٧
[44] صحيح البخاري – حديث ٣٣٦٤

وقال الله تعالى في بيان هذا الموقف الجلل الذي حقق فيه خليل الرحمن إبراهيم معاني توحيد أسماء الله وصفاته: **(ربّنا إنّي أَسْكَنْتُ مِن ذريّتي بوادٍ غير ذي زرعٍ عند بيتك المحرَّم ربَّنا لِيُقيموا الصلاة فاجعل أفئدةً مِن الناس تَهْوِي إليهم وارزقهم مِن الثمرات لعلّهم يشكرون. ربَّنا إنّك تعلم ما نُخفي وما نُعلن وما يَخفَى على الله مِن شيءٍ في الأرض ولا في السماء. الحمد لله الذي وَهَبَ لي على الكِبَرِ إسماعيل وإسحاق إنّ ربّي لَسميعُ الدعاء)**[45]؛

فهذه بعض معالم توحيد الأسماء والصفات التي حققها إبراهيم عليه السلام، فالله وحده مقلِّب قلوب العباد فهو الذي يجعلها تهوي إلى البيت الحرام حيث ترك إبراهيم أهله، والله وحده الرزاق حيث تنقطع الأسباب، والله وحده العليم لما يخفى وما يُعلن، والله وحده المستحق للثناء على جميل صفاته، والله وحده الوهاب، والله وحده سامع الدعاء، والله وحده مجيب الدعاء، والله وحده الوكيل على كل شيء أي الحفيظ الذي وكّل إبراهيمُ عليه السلام حفظ إسماعيل الرضيع وأمه إليه في وادٍ منقطع عن أسباب الحياة. **فوحّد نبي الله إبراهيم عليه السلام الله تعالى في الرزق والعلم والهبة والحفظ والسمع والإجابة، وجمع ذلك كله في قوله (الحمد لله) الذي هو الثناء المطلق على الله عز وجل على جميل صفاته وحسن أسمائه ونعوت جلاله.**

تأمل هذا التوحيد الخالص في أسماء الله وصفاته وتنزيهه سبحانه وتعالى عن النقص الذي يؤدي بالعبد إلى سوء الظن بربه فلا يعتقده حافظاً ولا وكيلاً ولا رزاقاً ولا وهّاباً ولا سميعاً ولا مجيباً، كما هو حال اليهود والنصارى الذين ألحدوا في أسماء الله وصفاته حيث فضحهم الله تعالى في كتابه العزيز فقال: **(لقد سَمِعَ الله قَولَ الّذين قالوا إنّ الله فقيرٌ ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقَتْلَهم الأنبياء بغير حقٍ ونقول ذوقوا عذاب الحريق)**[46]، فألحد اليهود في اسم الله تعالى

---

[45] سورة إبراهيم – آية ٣٧-٣٩
[46] سورة آل عمران – آية ١٨١

الغني وصفته الغنى، ونسبوا إليه اسم نقص وصفة نقص هي الفقير والفقر تعالى الله عن ذلك، وخالفوا الحنيفية المسلمة دين إبراهيم عليه السلام،

وقال الله تعالى: (**وقالت اليهودُ يَدُ الله مغلولةٌ غُلّت أيديهم ولُعِنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء**)[47]، فألحد اليهود في صفة الكمال لله وهي الإنفاق بما شاء، ونسبوا إلى الله تعالى صفة النقص فلعنهم الله تعالى بذلك، وخالفوا بذلك ملة إبراهيم الحنيفية المسلمة الذي أثبت كل كمال لله تعالى ونزهه عن النقص،

وقال الله تعالى: (**لقد كَفَرَ الذين قالوا إنّ الله ثالثُ ثلاثةٍ وما مِن إلهٍ إلا إلهٌ واحد وإنْ لم يَنتهوا عمّا يقولون لَيَمسّنّ الذين كفروا منهم عذابٌ أليم. أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفورٌ رحيم. ما المسيحُ ابنُ مريم إلا رسولٌ قد خَلَت مِن قَبله الرُسُل وأُمُّه صِدّيقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبيّن لهم الآيات ثم انظر أنّى يُؤفكون**)[48]، فألحد النصارى في اسم الله الواحد الأحد الصمد وصفته الوحدانية والصمدية، ونسبوا إليه الولد والصاحبة والتثليث تعالى الله عن إفكهم علواً كبيراً، وخالفوا بذلك دين إبراهيم عليه السلام وتوحيد إبراهيم عليه السلام لله تعالى في وحدانيته وصمديته وخرجوا عن الحنيفية المسلمة إلى الشرك البغيض،

فهل يُنسب اليهود والنصارى الذين ألحدوا في أسماء الله وصفاته إلى دين إبراهيم الحنيف المسلم الذي حقق توحيد الله تعالى في أسمائه، وحقق توحيد الله تعالى في صفاته، وأثبت له كل ما يليق بذاته العليّة من الكمال المطلق، ونزهه عن كل ما لا يليق بذاته العليّة من النقص والعيوب، أفلا يعقل من يقول إن اليهودية والنصرانية ديانات إبراهيمية...

---

47 سورة المائدة – آية ٦٤

48 سورة المائدة – آية ٧٣-٧٥

باب: إنكار إبراهيم عليه السلام على الشرك والمشركين،

وقول الله عز وجل: (وتَاللهِ لَأَكِيدنّ أصنامَكم)[49]

قال الله تعالى حاكياً عن تدرج إبراهيم عليه السلام من الإنكار القولي إلى الإنكار العملي على مظاهر الشرك: **(ولقد آتينا إبراهيم رُشدَه مِن قَبلُ وكنّا به عالمين. إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون. قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين. قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلالٍ مبين. قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين. قال بل ربكم رب السماوات والأرض الذي فَطَرَهُنّ وأنا على ذلكم من الشاهدين. وتالله لأكيدنّ أصنامكم بعد أن تُولّوا مُدبرين. فجعلهم جُذاذاً إلا كبيراً لهم لعلهم إليه يرجعون)**[50] ،

وقال تعالى حاكياً إنكار إبراهيم عليه السلام بيده على الأوثان: **(فَرَاغَ إلى آلهتهم فقال ألا تأكلون. ما لكم لا تَنْطِقون. فَرَاغَ عليهم ضرباً باليَمِين)**[51]؛

فلقد صدع إبراهيم عليه السلام بعقيدة التوحيد، وجعلها حياته ومماته كلها، وجادل قومه بالتي هي أحسن ليزيل عنهم الشبهات ويفند لهم الحجج الواهيات، ثم انتقل مِن جهاد الكلمة إلى جهاد اليد والجوارح واضعاً حياته كلها فداءً لعقيدة التوحيد الخالص، وجعل ذلك سنةً لمن اتبع ملته من ذريته، ولقد كانت سنة الرسل من بعده على هدم الأوثان وكسرها حِسّاً ومعنىً،

فحكى الله تعالى كيف أنكر هارون عليه السلام على بني إسرائيل اتخاذ العجل الذي أخرجه لهم السامري فقال: **(ولقد قال لهم هارون مِن قبلُ يا قومِ إنما فُتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتّبعوني وأطيعوا أمري)**[52]،

---

[49] سورة الأنبياء – آية ٥٧
[50] سورة الأنبياء – آية ٥١-٥٨
[51] سورة الصافات – آية ٩١-٩٣
[52] سورة طه – آية ٩٠

وحكى الله تعالى عن موسى عليه السلام إتلافه العجل فقال عز وجل حكاية موسى عليه السلام للسامري: **(وانظر إلى إلهك الذي ظَلْتَ عليه عاكفاً لَنُحَرِّقَنَّه ثم لَنَنسِفَنَّه في اليمِّ نسفاً. إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيءٍ علماً)**[53]،

وذكر الله تعالى تبرؤ عيسى عليه السلام من دعوى البنوة والألوهة التي افتراها من يدعي اتباعه فقال عز وجل: **(وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتّخذوني وأميَ إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلتُه فقد علمتَه تعلمُ ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك وأنت علّام الغيوب. ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم)**[54]، ثم إن رسول الله عيسى بن مريم عليه السلام الذي تبرأ من عبادة الناس له ولأمه، والذي رفعه الله ونجاه ممن أرادوه بالسوء والصلب ينزل آخر الزمان ليحقق توحيد الله ويكسر هذا الوثن وهو الصليب المزعوم،

فعن أبي هريرة رضي الله عنه يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "والذي نفسي بيده لَيُوشِكَنَّ أن ينزل فيكم ابن مريم صلى الله عليه وسلم حَكَماً مُقسِطاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد"[55]، ثم جاءت الرسالة الخاتمة ببعثة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم لتؤكد هذا الإنكار القولي والعملي على الشرك ومظاهره،

ففي الحديث عن عمرو بن عبسة السُلَمي قال: كنت وأنا في الجاهلية أظن أن الناس على ضلالة، وأنهم ليسوا على شيء، وهم يعبدون الأوثان، فسمعت برجلٍ بمكة يخبر أخباراً، فقعدت على راحلتي فقدمت عليه، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخفياً جرآء عليه قومه، فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة، فقلت له: ما أنت؟ قال: "أنا نبي" فقلت:

---

53 سورة طه – آية ٩٧-٩٨
54 سورة المائدة – آية ١١٦-١١٧
55 صحيح مسلم – حديث ١٥٥

وما نبي؟ قال: "أرسلني الله" فقلت: وبأي شيءٍ أرسلك؟ قال: "أرسلني بصلة الأرحام، وكسر الأوثان، وأن يوحّد الله لا يُشرك به شيء"[56]،

فهؤلاء الرسل من ذرية إبراهيم عليه السلام جاؤوا بمثل ما جاء به من توحيد الله وإنكار ومحو الشرك وكسر الأوثان وإزالة الأصنام، وهذا معتقد موسى وهارون عليهما السلام وعملهما خلافاً لليهود عبّاد العجل، وهذا معتقد عيسى عليه السلام وعمله خلافاً للنصارى عبّاد الصليب، فكيف تُنسب اليهودية المشركة والنصرانية المشركة إلى ملة إبراهيم الحنيفية المسلمة، وقد كانت حياته ومماته كلها لإقامة صرح التوحيد وهدم عروش الشرك والإنكار عليها.

[56] صحيح مسلم – حديث ٨٣٢

باب: نهي إبراهيم عليه السلام أباه عن الشرك،

وقول الله عز وجل: (وإذ قال إبراهيمُ لأبيه آزَرَ أتتّخذُ أصناماً آلهةً إنّي أراك وقومَك في ضلالٍ مبينٍ)[57]

فهذا نبي الله وخليله إبراهيم عليه السلام ينهى أباه وأقرب الناس إليه وينكر عليه عبادة الأصنام، كما بيَّن الله تعالى تفصيل ذلك فقال: **(واذْكُر في الكتاب إبراهيم إنّه كان صِدّيقاً نبيّاً. إذ قال لأبيه يا أَبَتِ لِمَ تعبد ما لا يسمع ولا يُبصر ولا يُغني عنك شيئاً. يا أَبَتِ إنّي قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتّبعني أهدِك صراطاً سويّاً. يا أبتِ لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيّاً. يا أبتِ إنّي أخاف أن يمسّك عذابٌ من الرحمن فتكون للشيطان وليّاً)**[58]،

فليعلم من يفتري الكذب على إبراهيم عليه السلام بنسبة اليهودية والنصرانية إليه وتسميتهما ديانات إبراهيمية يحسب أنه يتودد إلى اليهود والنصارى أو يحسن إليهم أو يتملّقهم أن خير ما يهديه إلى اليهود والنصارى هو نهيهم عن الشرك بالله، وعن اتخاذ العجل من دون الله، وعن ادعاء الصاحبة والولد لله وعبادتهما من دون الله، ونهيهم عن تحريف التوراة والإنجيل وعن التكذيب بخاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم،

وليعلم اليهود والنصارى أنه لو كان يريد دعاة التعايش والتسامح المفترون على إبراهيم عليه السلام الكذب أنهم لو كانوا يريدون لهم الخير بدعوى التعايش والتسامح الكاذب هذه لنهوهم عمّا نهى عنه إبراهيمُ عليه السلام أباه وقومه من الشرك، ولأمروهم بما أمر به إبراهيم عليه السلام أباه وقومه من التوحيد والإسلام حتى يكون التعايش الحقيقي في الدنيا في ظلال التوحيد أو على بيّنةٍ من الأمر فيهلك من هلك عن بيّنة، ويحيا من حيّ عن بينة، دون تلبيس أو تخليط،

---

[57] سورة الأنعام – آية ٧٤

[58] سورة مريم – آية ٤١-٤٥

ولعمر الحق لو كانت اليهودية والنصرانية من دين إبراهيم عليه السلام، ولو كانتا من الطرق المحققة للتوحيد الموصلة إلى الفوز والنجاة في الآخرة فهل كان الناس بحاجة إلى طريق ثالث ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم، أم هل كانت بعثته صلى الله عليه وسلم عبثاً تعالى الله عن ذلك!

باب: تبرؤ إبراهيم من المشركين ومعاداته لهم في الدين

وقول الله عز وجل: (فإنهم عدوٌ لي إلا ربَّ العالمين)[59]

قال الله تعالى: **(واتلُ عليهم نبأ إبراهيم. إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون. قالوا نعبد أصناماً فنظلّ لها عاكفين. قال هل يسمعونكم إذ تدْعون. أو ينفعونكم أو يضرّون. قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون. قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون. أنتم وآباؤكم الأقدمون. فإنهم عدوٌّ لي إلا رب العالمين)**[60]،

فكيف ينسب إلى إبراهيم عليه السلام دين من يعبد الصليب وهو وثنٌ من الأوثان، وقد أعلن إبراهيم عليه السلام بعداوته لهذه الأصنام المدعوة آلهة من دون الله، بل إن المسيح عيسى ابن مريم نفسه بريء منها بتبرئة الله تعالى له من دعوى الصلب: **(وما قَتَلوه وما صَلَبُوه ولكن شُبّه لهم)**[61]، وبتبرئة الله تعالى له من دعوى الألوهية: **(إنما المسيحُ عيسى ابن مريمَ رسولُ الله وكلمتُه ألقاها إلى مريم وروحٌ منه)**[62]، وتأكيد عبوديته لله تعالى: **(لن يَستنكِفَ المسيحُ أن يكون عبداً لله)**[63]، فكيف تكون عبادة الصليب وتقديسه وتعظيمه وعبادة المسيح وأمه دين عيسى عليه السلام فضلاً عن أن تكون ملة إبراهيم عليه السلام وهما المتبرآن من هذا الشرك والكفر البواح، فهل تسمية هذا بالدين الإبراهيمي إلا كذبٌ وافتراء عليهما وهما اللذان تبرآ من ذلك صلوات الله وسلامه عليهما.

---

[59] سورة الشعراء – آية ٧٧
[60] سورة الشعراء – آية ٦٩-٧٧
[61] سورة النساء – آية ١٥٧
[62] سورة النساء – آية ١٧١
[63] سورة النساء – آية ١٧٢

ومثل ذلك تبرؤ موسى عليه السلام من اتخاذ قومه الأصنام وطلبهم ذلك، قال الله تعالى: **(وجاوَزْنا ببني إسرائيل البحر فأتَوا على قومٍ يعكُفون على أصنامٍ لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قومٌ تجهلون. إن هؤلاء مُتَبّرٌ ما هم فيه وباطلٌ ما كانوا يعملون. قال أَغَيْرَ الله أبغيكم إلهاً وهو فضّلكم على العالمين)**[64]،

فكيف يُنسب دين عبادة العجل وتحريف التوراة وتبديل دين موسى إلى إبراهيم عليه السلام وهو الذي تبرأ من الأصنام وأعلن بعداوته لها وعداوتها له، بل وإلى موسى عليه السلام وقد شهد الله تعالى ببراءته من ذلك وشديد غضبه وإنكاره على قومه فيه.

ألا فليعلم اليهود والنصارى اليوم أن أشد الناس عداوةً لهم هم أولئك الذين يداهنونهم على الشرك ويُلَبِّسون معهم على الناس بتمييع الدين الحق، وجعله مزيجاً من التبديل والتحريف تحت مسمىً كاذب هو "الديانات الإبراهيمية"، ولقد علم أهل الحق أن الدين الإبراهيمي منهم بريء. وليعلم اليهود والنصارى اليوم أن أشد الناس رأفةً ورحمةً وإرادةً للخير لهم هم المسلمون الداعون إلى الإسلام المبينون لهم دين الحنيفية الإبراهيمية الحق الخالصة من الشرك والبريئة من التبديل والتحريف من عبادة العجل والصليب وادعاء الولد والصاحبة والشركاء والوسطاء والشفعاء مع الله، وليعلموا أن شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله هي دين إبراهيم وهي دين موسى وهي دين عيسى صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين.

ولقد قال الله عز وجل في معرض تسجيل هذا الموقف الإيماني الإبراهيمي الذي أعلن فيه البراءة من قومه وشركهم والتزامه توحيد الله تعالى وإعلانه كلمة التوحيد الخالصة الباقية في عقبه قال عز وجل: **(وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براءٌ مما تعبدون. إلا الذي فطرني فإنه سيهدين. وجعلها كلمةً باقيةً في عَقِبِه لعلهم يرجعون)**[65]،

---

[64] سورة الأعراف- آية ١٣٨-١٤٠

[65] سورة الزخرف – آية ٢٦-٢٨

قال الإمام الطبري رحمه الله: "وقوله **(وجعلها كلمةً باقيةً في عقبه)** يقول جل ثناؤه: وجعل قوله: **(إنني براءٌ مما تعبدون. إلا الذي فطرني)** وهو قول "لا إله إلا الله" كلمةً باقيةً في عقبه، وهم ذريته، فلم يزل في ذريته من يقول ذلك من بعده"[66]،

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "أي هذه الكلمة وهي عبادة الله تعالى وحده لا شريك له وخلع ما سواه من الأوثان، وهي "لا إله إلا لله" أي: جعلها دائمةً في ذريته يقتدي بها من هداه الله تعالى من ذرية إبراهيم عليه الصلاة والسلام **(لعلهم يرجعون)** أي: إليها"[67]،

قلت: ونحن نرجع إلى هذه الكلمة اليوم لتكون الفصل بين من ينسب الشرك مِن يهوديةٍ ونصرانيةٍ إلى دين إبراهيم عليه السلام وبين من ينسب إليه التوحيد والبراءة من الشرك والعداوة مع الأصنام لتكون هذه الكلمة فيصلاً بيننا وبينهم؛ فنقول كلمة التوحيد "لا إله إلا لله" وهي كلمة الإسلام وهي دين إبراهيم عليه السلام وهو ودينه، ونحن برآء من كلمة الشرك والكفر اليهودية والنصرانية، ونحن عدوٌ – في الله – لعجلهم وصليبهم وكافة أوثانهم إلى يوم الدين.

---

[66] تفسير الطبري- ٢٤/١٠

[67] تفسير ابن كثير – ٢٩٩/٧-٣٠٠

باب: شهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن دين الإسلام هو ملة إبراهيم،

وقول الله عز وجل: (ملّة أبيكم إبراهيم هو سمّاكم المسلمين مِن قَبلُ وفي هذا)[68]

قال الإمام البغوي رحمه الله:" **(هو سمّاكم)** يعني أن الله سمّاكم **(المسلمين مِن قَبل)** يعني من قبل نزول القرآن في الكتب المتقدمة **(وفي هذا)** أي في هذا الكتاب.. وعن ابن زيد: (هو) يرجع إلى إبراهيم أي أن إبراهيم سمّاكم المسلمين في أيامه"[69]، قلت: ولا تعارض فإن إبراهيم عليه السلام نبيٌ مرسل، فإن كان قد سمّى اسم المسلمين اجتهاداً من نفسه فقد أقره الله تعالى عليه، وإن كان الله تعالى قد أوحاه إليه ابتداءً فنسبة القول إلى إبراهيم نسبة البلاغ، والمقصود أن اسم "المسلمين" ليس بدعاً في القرآن الكريم ولا في زمن البعثة المحمدية، بل ما زال هذا الاسم قديماً وحديثاً علَماً على كل من شهد أن لا إله إلا الله وشهد أن محمداً رسول الله على البشارة والميثاق قبل بعثته صلى عليه وسلم وعلى الرسالة بعدها، كما قال الله تعالى: **(وإِذْ أخذَ الله ميثاقَ النبيّين لَمَا آتيتُكم مِن كتابٍ وحكمةٍ ثم جاءكم رسولٌ مصدّقٌ لِما معكم لَتُؤمنُنَّ به ولَتَنْصُرُنَّه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إِصْرِي قالوا أقرَرنا قال فاشهدوا وأنا معكم مِن الشاهدين)**[70].

ولقد شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا أعني أن الإسلام هو دين إبراهيم عليه السلام؛

فعن ابن عبد الرحمن بن أبزى عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلك أنه قال: "أصبحنا على فطرة الإسلام، وعلى كلمة الإخلاص، وعلى دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى ملة أبينا إبراهيم حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين"[71]،

---

[68] سورة الحج – آية ٧٨
[69] تفسير البغوي – ٤٠٤/٥
[70] سورة آل عمران – آية ٨١
[71] مسند الإمام أحمد – حديث ١٥٢٩٦

فهذا صريحٌ عن النبي صلى الله عليه وسلم بأن دين الإسلام هو دين إبراهيم عليه السلام، وأكد الحديث ذلك بثلاث مطابقات هي: قوله "فطرة الإسلام"، وقوله "كلمة الإخلاص"، وقوله "دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم"، فلا يبقى لأحدٍ عذرٌ في التباسٍ أو تلبيس.

باب: الإسلام وصية إبراهيم لذريته،

وقول الله عز وجل: (ووصّى بها إبراهيمُ بنيه ويعقوبُ)[72]

قال الإمام الطبري رحمه الله: "**(ووصّى بها)**: وصّى بهذه الكلمة، أعني بالكلمة قوله: **(أسلمت لرب العالمين)**[73]، وهي الإسلام الذي أمر به نبيه صلى الله عليه وسلم، وهو إخلاص العبادة والتوحيد لله، وخضوع القلب والجوارح له، ويعني بقوله **(ووصّى بها إبراهيم بنيه)**: عهد إليهم بذلك وأمرهم به، وأما قوله **(ويعقوب)** فإنه يعني: ووصى بذلك أيضاً يعقوبُ بنيه"[74]،

وقال الإمام البغوي رحمه الله في قوله تعالى **(فلا تموتنّ إلا وأنتم مسلمون)**: "والنهي في ظاهر الكلام وقع على الموت، وإنما نُهوا في الحقيقة عن ترك الإسلام، معناه: داوموا على الإسلام حتى لا يصادفكم الموت إلا وأنتم مسلمون"[75]،

يؤكد هذا قوله تعالى منكراً على اليهود والنصارى افتراءهم على إبراهيم عليه السلام: **(أم كنتم شهداءَ إذ حضر يعقوبَ الموتُ إذ قال لبنيه ما تعبدون مِن بعدي قالوا نعبدُ إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون)**[76]؛

قال الإمام الطبري رحمه الله: "وتأويل الكلام: أكنتم يا معشر اليهود والنصارى -المكذّبين بمحمد صلى الله عليه وسلم الجاحدين نبوّته – حضورَ يعقوبَ وشهودَه إذ حضره الموت، أي: إنكم لم تحضروا ذلك، فلا تدّعوا على أنبيائي ورُسُلي الأباطيل وتَنحِلوهم اليهودية والنصرانية، فإني ابتعثت خليلي إبراهيم وولده إسحاق وإسماعيل وذريّتهم بالحنيفية المسلمة،

---

72 سورة البقرة – آية ١٣٢
73 سورة البقرة- آية ١٣١
74 تفسير الطبري – ٨٠٥/١-٨٠٦
75 تفسير البغوي – ١٥٤/١
76 سورة القرة – آية ١٣٣

وبذلك وصّوا بنيهم، وبه عهدوا إلى أولادهم من بعدهم، فلو حضرتموهم فسمعتم منهم علمتم أنهم على غير ما تنحلونهم من الأديان والملل"[77]،

قلت: **ونحن على عهد أبينا إبراهيم ووصيته، ونحن نشهد على ما شهد به ربُّ العزة من إسلام أبينا إبراهيم وذريته إسماعيل وإسحاق ويعقوب، ولو حضر المفترون على إبراهيم عليه السلام وبنيه موتَهم لعلموا ما أخبر الله تعالى به من أنهم لم يوصوا ذريتهم إلا بالإسلام، ولم يوصوهم بيهودية ولا نصرانية بل ولم يوصوهم بمسمى "الإبراهيمية" أصلاً**، فتأمل.

[77] تفسير الطبري – ٨٠٧/١

باب: الأمر بمتابعة إبراهيم عليه السلام على الإسلام،

وقول الله عز وجل: (ثم أوحينا إليك أن اتّبع مِلّة إبراهيم حنيفاً)[78]**،**

فلم يقتصر القرآن الكريم على تسجيل وحفظ وصية إبراهيم عليه السلام لبنيه بالإسلام بل أمر نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم وأمّته مِن بعده بمتابعته على ملة الحنيفية المسلمة، فلم يعُد الأمر مجرد وصية أبٍ لبنيه، بل هو أمرٌ ربانيٌ وتكليفٌ إلهي بالتزام دين الفطرة دين الإسلام دين إبراهيم عليه السلام، والتحذير عن مخالفته والخروج عن جادّته، والصدِّ عن سبيله، وإذا كان الأمر من الله فلا تسأل عن توكل الله تعالى بحفظه وصيانته من عبث العابثين وإفساد المفسدين وإرجاف المبطلين،

قال الله تعالى: **(ثم أوحينا إليك أن اتّبع ملّة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين. إنّما جُعِل السبتُ على الذين اختلفوا فيه وإن ربّك لَيحكُم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون)**[79]؛

قال الإمام الطبري رحمه الله: "يقول تعالى ذِكرُه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ثم أوحينا إليك يا محمد وقلنا لك: اتّبع ملّة إبراهيم الحنيفية المسلمة **(حنيفاً)** يقول: مسلماً على الدين الذي كان عليه إبراهيم، بريئاً من الأوثان التي يعبدها قومك، كما كان إبراهيم تبرّأ منها"[80]،

ثم بيّن الله تعالى أنموذجاً لانحراف أهل الكتاب من اليهود والنصارى عن الحق،

قال الطبري: "وقوله **(إنما جُعل السبت على الذين اختلفوا فيه)** يقول تعالى ذكره: ما فرض الله أيها الناس تعظيم يوم السبت إلا على الذين اختلفوا فيه، فقال بعضهم: هو أعظم الأيام، لأن الله تعالى فرغ مِن خلق الأشياء يوم الجمعة ثم

---

78 سورة النحل- آية ١٢٣

79 سورة النحل – آية ١٢٣-١٢٤

80 تفسير الطبري – ٢٨٤/٧

سبَتَ يوم السبت، وقال آخرون: بل أعظم الأيام يوم الأحد، لأنه اليوم الذي ابتدأ الله فيه في خلق الأشياء، فاختاروه تعظيماً وتركوا تعظيم يوم الجمعة الذي فرض الله عليهم تعظيمه واستحلّوه"[81]،

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بيْد أنهم أوتوا الكتاب مِن قبلنا، ثم هذا يومهم الذي فرض الله عليهم فاختلفوا فيه، فهدانا الله له، فالناس لنا فيه تَبَع: اليهود غداً والنصارى بعد غد"[82]،

قال ابن حجر رحمه الله: "والمراد باليوم يوم الجمعة، والمراد باليوم بفرضه فرضُ تعظيمه"[83]،

قلت: وسواءٌ أكان اختلاف اليهود والنصارى في اجتهادهم في تعيين اليوم الذي فرض الله تعظيمه أم كان اختلافهم فيما بينهم بعد اجتماعهم على مخالفة اليوم الذي عيّنه الله، فإن حديث النبي صلى الله عليه وسلم جليٌّ في أن اليهود والنصارى قد خالفوا الحق الواحد وهو فرض تعظيم يوم الجمعة، كما تقدم في كلام الطبري في تأويل الآية،

وبهذا يكون في قوله تعالى: (**ثم أوحينا إليك أن اتّبع ملّة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين. إنّما جُعِل السبتُ على الذين اختلفوا فيه وإن ربّك لَيحكُم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون**)[84]، يكون فيه الأمر بمتابعة إبراهيم عليه السلام على دين الإسلام حنيفاً متبرّئاً من الشرك، مع التنبيه على اختلاف أهل الكتاب من اليهود والنصارى ومخالفتهم للحق في مسألة اليوم الذي أمر الله بتعظيمه،

---

81 تفسير الطبري – ٢٨٤/٧
82 صحيح البخاري – حديث ٨٧٦
83 فتح الباري – ٦/٣
84 سورة النحل – آية ١٢٣-١٢٤

وهذا المسلك آكد ما يكون حيث جمع الأمر بالشيء والنهي عن خلافه، كما أنه ينبه على أثر الاختلاف في الأصول في التفرق على الفروع، وهو أحسن الطرق في بيان وجه الحق الذي لا شيء أحسن منه كما قال تعالى: **(ومَن أحسنُ دِيناً ممّن أسلم وجهَه لله وهو مُحسنٌ واتّبع ملّة إبراهيم حنيفاً واتّخذ الله إبراهيمَ خليلاً)**[85]؛ أي: لا أحسن دِيناً منه.

[85] سورة النساء – آية ١٢٥

باب: نفي اليهودية والنصرانية عن إبراهيم عليه السلام،

وقول الله عز وجل: (ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً)[86]

وقال الله تعالى: (**أَم تقولون إنّ إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هوداً أو نصارى قل أأنتم أعلمُ أم الله ومَن أظلمُ مِمّن كتمَ شهادةً عنده مِن الله وما الله بغافلٍ عمّا تعملون**)[87] ؛

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "ثم أنكر تعالى عليهم في دعواهم أن إبراهيم ومن ذكر بعده من الأنبياء والأسباط كانوا على مِلّتهم، إما اليهودية وإما النصرانية فقال: (**قل أأنتم أعلم أم الله**) يعني: بل الله أعلم، وقد أخبر أنهم لم يكونوا هوداً ولا نصارى، كما قال تعالى: (**ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين**)[88] الآية والتي بعدها.

وقوله: (**ومن أظلمُ ممن كتم شهادةً عنده من الله**) قال الحسن البصري: كانوا يقرأون في كتاب الله الذي آتاهم: إن الدين عند الله الإسلام، وإن محمداً – صلى الله عليه وسلم – رسول الله، وإن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا برآء من اليهودية والنصرانية، فشهد الله بذلك، وأقرّوا على أنفسهم لله، فكتموا شهادة الله عندهم من ذلك"[89] .

كما دحض الله عز وجل زعم اليهود والنصارى كون الهداية في مللهم حيث قال عز وجل: (**وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا قل بل مِلّة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين**)[90]؛

---

[86] سورة آل عمران – آية ٦٧
[87] سورة البقرة – آية ١٤٠
[88] سورة آل عمران – آية ٦٧
[89] تفسير ابن كثير – ٥٨٢/١-٥٨٣
[90] سورة البقرة – آية ١٣٥

قال الإمام البغوي رحمه الله: "فقال تعالى **(قل)** يا محمد – صلى الله عليه وسلم – **(بل ملة إبراهيم)** بل نتبع ملة إبراهيم... **(حنيفاً)** ...قال مجاهد: الحنيفية اتباع إبراهيم فيما أتي به من الشريعة التي صار بها إماماً للناس، قال ابن عباس: الحنيف المائل عن الأديان كلها إلى دين الإسلام"[91]،

فهذه الآيات إنكار واضح وتكذيبٌ صريح لدعاوى اليهود والنصارى في دعوى الهداية في مللهم ونسبتها إلى إبراهيم عليه السلام، والآية الفاصلة في هذا الأمر هي الآية المتقدمة في ترجمة الباب:

قال تعالى: **(ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين)**[92]؛

قال الطبري رحمه الله: "وهذا تكذيبٌ من الله عز وجل دعوى الذين جادلوا في إبراهيم وملّته من اليهود والنصارى، وادّعوا أنه كان على مِلّتهم، وتبرئةٌ لهم منه، وأنهم لدينه مخالفون، وقضاءٌ منه عز وجل لأهل الإسلام ولأمة محمد صلى الله عليه وسلم أنهم هم أهل دينه، وعلى منهاجه وشرائعه دون سائر أهل الملل والأديان غيرهم"[93]،

قلت: فهذا تكذيب الله لليهود والنصارى في دعواهم أن ملتهم ملة إبراهيم وأن ديانتهم ديانة إبراهيمية، وهي تكذيبٌ لكل من قال بقولهم قديماً وحديثاً، **(ومن أصدقُ من الله حديثاً)**[94]، **(ومن أصدقُ من الله قِيلاً)**[95] فمن ذا الذي يجرؤ على معاندة شهادة الله وحكمه وقضائه، مَن...

---

91 تفسير البغوي – ١٥٥/١
92 سورة آل عمران – آية ٦٧
93 تفسير الطبري – ٢٦٤/٣
94 سورة النساء – آية ٨٧
95 سورة النساء – آية ١٢٢

باب: تطهير إبراهيم عليه السلام البيت الحرام من الشرك

وقول الله عز وجل: (وعهِدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهِّرا بيتي للطائفين والعاكفين والرُّكّع السُجود)[96]،

قال الإمام الطبري رحمه الله: "فمعنى الآية: وأمرنا إبراهيم وإسماعيل بتطهير بيتي للطائفين، والتطهير الذي أمرهما الله به في البيت هو تطهيره من الأصنام وعبادة الأوثان فيه ومن الشرك بالله"[97]،

وجاء البيان صريحاً في قول الله عز وجل: **(وإذ بوّأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تُشرك بي شيئاً وطهّر بيتي للطائفين والقائمين والرُّكّع السُجود)[98]،**

فلقد استجاب إبراهيم عليه السلام لأمر ربه وبنى الكعبة على التوحيد الخالص مطهرةً من مظاهر الشرك الحسي – كوجود الأصنام والأوثان كما كان فعل قريش في الجاهلية – ومن مظاهر الشرك المعنوي كدعاء غير الله تعالى،

وقد قال الله تعالى: **(وأنّ المساجدَ لله فلا تدْعوا مع الله أحداً)[99]، فلا يجوز اتخاذ دورٍ للعبادة يُذكر فيها غير الله، ولا يجوز اتخاذ بيوت عبادة مشتركة تساوي بين توحيد الله عز وجل والشرك بالله بنسبة الولد إليه تعالى عن ذلك علواً كبيراً،**

ولقد حفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم وصية إبراهيم عليه السلام بتطهير البيت الحرام من الشرك والمشركين، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعثني أبوبكر في تلك الحجة في مؤذّنين يوم النحر نؤذّن بمنىً: أن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عُريان"[100]،

---

96 سورة البقرة – آية ١٢٥
97 تفسير الطبري – ٧٧٨/١
98 سورة الحج - ٢٦
99 سورة الجن – آية ١٨
100 صحيح البخاري – حديث ٣٦٩

وأخبر رسول الله صلوات ربي وسلامه عليه أن رسول الله وكلمته عيسى ابن مريم عليه السلام يُهلّ بالحج، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "والذي نفسي بيده لَيُهِلَّنَّ ابنُ مريم بفجِّ الروحاء[101] حاجّاً أو معتمراً أو ليثنّينّهما"[102]،

قال الإمام النووي رحمه الله: "وهذا يكون بعد نزول عيسى عليه السلام من السماء في آخر الزمان"[103]،

وموضع الشاهد أن عيسى عليه السلام يحج أو يعتمر أو يحج ويعتمر بعد نزوله في آخر الزمان على شريعة الإسلام، ولا حج لمشرك في شريعة الإسلام، فثبتت براءة عيسى عليه السلام من الشرك وممن نسبه إلى الشرك بدعوة الناس لعبادته حاشاه عليه السلام.

وإن من أكذب الكذب أن ينسب هذا الدين الباطل – أعني نسبة الولد إلى الله –الذي يعتقده النصارى اليوم إلى إبراهيم عليه السلام ودين إبراهيم عليه السلام وهو الذي أقام الكعبة بأمر الله على التوحيد الخالص وطهره من الشرك كله، ونفى الله تعالى عهد الإمامة الذي اصطفاه عز وجل له عن الظالمين من ذريته حيث قال عز وجل: **(وإذ ابتلى إبراهيم ربُّه بكلماتٍ فأتمّهنّ قال إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذرّيتي قال لا ينال عهدي الظالمين)**[104]،

وإن من أفسد السعي سعيَ من سعى في بناء دور عبادة تحت مسمى "البيت الإبراهيمي" ليسوي بذلك السعي الفاسد والبناء الضرار بين من يدعوا الله وحده ومن يدعوا معه أحداً من خلقه، فالبيت الإبراهيمي الحق هو المسجد الذي يوجه محرابه حساً نحو البيت الحرام ومعنىً لله تعالى وحده، وهو المسجد الذي لا يُدعى فيه أحد إلا الله، وكل ما عدا ذلك فكذب على إبراهيم عليه السلام، وكذب على موسى عليه السلام، وكذب على عيسى عليه السلام، وهو كذب على الله سبحانه وتعالى.

---

101 فج الروحاء مكان بين مكة والمدينة
102 صحيح مسلم – حديث ١٢٥٢
103 شرح النووي على صحيح مسلم – ٣٨٠/٣
104 سورة البقرة – آية ١٢٤

وإذا ابتلي المسلمون في بقعة من بقاع الأرض بمثل هذا البناء الباطل والزعم الفاسد والكذب البواح فعليهم التبرؤ منه، والإنكار عليه حسب مراتب الإنكار المشروعة، وهجره والتحذير منه، وتغيير صفته ما أمكن، وبيان الحق لمدعيه بياناً يقطع العذر بالجهل وينفي العذر بالتأويل الفاسد، وهي مهمة العلماء الربانيين في غير فتنة ولا تهارج، بل الصدع بالحق في موضعه وتألف الناس لقبول الحق في موضعه.

باب: هدم مسجد الضرار،

وقوله تعالى: (فجعلهم جُذاذاً)[105]؛

وقول الله تعالى: (والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسولَه مِن قبلُ ولَيحلِفُنَّ إن أردنا إلا الحُسنى والله يشهد إنهم لكاذبون)[106]

فإبراهيم عليه السلام بعد أن أقام الحجة العقلية والنقلية على قومه ببطلان عبادة الأصنام واتخاذ الأوثان، باشر الإنكار باليد وأنذر بتكسير الأوثان بعد أن أعذر بقيام الحجة الرسالية، فتبين بطلان ما ينسب إلى دينه من دين أولئك الذين اتخذوا العجل صنماً مقدساً، والصليب إلهاً مقدساً،

قال الله تعالى عن اليهود: **(إنّ الّذين اتّخذوا العِجلَ سينالهم غضبٌ من ربّهم وذِلّةٌ في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين)**[107]، وقد تقدم تحريق موسى عليه السلام للعجل وذَرُّهْ إياه في البحر،

وقد تقدم حديث أبي هريرة رضي الله عنه يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "والذي نفسي بيده لَيُوشِكَنَّ أن ينزل فيكم ابن مريم صلى الله عليه وسلم حَكَماً مُقسِطاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد"[108]؛

قال الإمام النووي رحمه الله:" وفيه دليل على تغيير المنكرات وآلات الباطل"[109]

---

[105] سورة الأنبياء – آية ٥٨
[106] سورة التوبة – آية ١٠٧
[107] سورة الأعراف – آية ١٥٢
[108] صحيح مسلم – كتاب الإيمان - حديث ٢٤٢
[109] شرح النووي على صحيح مسلم- ٣٤٣/١

وكذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح، بل إن النبي صلى الله عليه وسلم أبطل وهدم المعاقل الفكرية التي تؤصل للفكر المنحرف وترمي إلى تفتيت الجماعة وصدهم عن دينهم كما كان في مسألة مسجد الضرار،

قال الإمام الطبري رحمه الله: "والذين ابتنوا مسجداً ضراراً لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكفراً بالله لمحادّتهم بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويفرقوا به بين المؤمنين"[110]،

فهدم إبراهيم عليه السلام للأصنام وتحريق موسى عليه السلام للعجل، وكسر عيسى عليه السلام للصليب موافق لمعنى الآية المتقدمة في الترجمة التي فضحت خبايا أصحاب مسجد الضرار مما دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم لهدمه:

قال الحافظ ابن قيم الجوزية رحمه الله في ذكر ما تضمنته غزوة تبوك من الفوائد: ومنها تحريق أمكنة المعصية التي يُعصى الله ورسوله فيها وهدمها، كما حرّق رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجد الضرار وأمر بهدمه، وهو مسجد يُصلّى فيه ويُذكر اسم الله فيه، لَمّا كان بناؤه ضراراً وتفريقاً بين المؤمنين، ومأوى للمنافقين، وكل مكانٍ هذا شأنه فواجبٌ على الإمام تعطيله إما بهدم وتحريق وإما بتغيير صورته وإخراجه عما وُضع له"[111]

والضرار الحسي بتفريق جماعة المسلمين حيث تتشرذم جماعتهم في مساجد متفرقة، والضرار المعنوي – وهو الأشد والأخطر – باتخاذ هذه المساجد التي وُضعت للمضارّة معاقل للأفكار الهدامة التي تتعارض مع الإيمان الصحيح كأفكار تمييع الأديان كأنها كلها شيء واحد، والكذب على رسل الله بنسبة العقائد الباطلة إلى رسول الله إبراهيم عليه السلام كادعاء الولد لله كما تدعي النصارى، والتكذيب ببعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتكذيب بلزوم الإيمان به لصحة شهادة التوحيد كما هو موقف اليهود والنصارى حتى يومنا هذا.

---

[110] تفسير الطبري – ١٢٠/٦

[111] زاد المعاد في هدي خير العباد – ٥٠٠/٣

ولا يشفع لهذه النوايا الخبيثة معسول الكلام من توحيد الإنسانية والإخاء بين أتباع الديانات فقد فضح الله تعالى النوايا الكامنة فقال: **(وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى)** قال الإمام الطبري رحمه الله:" يقول جل ثناؤه: وليحلفن بانوه **(إن أردنا إلا الحسنى)** ببنائناه : إلا الرفق بالمسلمين والمنفعة والتوسعة على أهل الضعف والعلة ومن عجز عن المسير إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة فيه وتلك هي الفعلة الحسنة، **(والله يشهد إنهم لكاذبون)** في حلفهم ذلك وقيلهم : ما بنيناه ألا ونحن نريد الحسنى، ولكنهم بنوه يريدون ببنائه السوآى ضراراً لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكفراً بالله وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لأبي عامر الفاسق"[112]

وهذا يدل على أن من بنى للناس اليوم معبداً أو داراً أو مركزاً أو مجمّعا للمعابد وجعل قسماً منه معبداً – ولو سماه مسجداً – ودعا الناس إليه ليعبد الله فيه ويُعبد في أجزائه الأخرى من يزعم أن لله ولداً وهم النصارى، ومن يزعم أنهم أبناء الله وأحباؤه وهم يكفرون برسله ويقتلونهم وهم اليهود، إن من فعل ذلك وهم يزعمون أنهم من أتباع رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم وهم لا يتبرأون ممن كفر به وطعن به وبرسالته، وهم يريدون جمع الناس على عقيدة مبتدعة باطلة يسمونها الديانة الإبراهيمية – وإبراهيم عليه السلام منها بريء – فقد أقاموا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل، وأقل ما تقابل به مساجد الضرار هذه هو هدمها معنوياً بهجرها والإنكار عليها وهجر من يدعو إليها حتي ترجح كفة هدمها حساً من حيث منع الفتن الأعظم من تركها إلى حين، والله أعلم.

---

[112] تفسير الطبري – ١٢٠/٦، وأبو عامر حسب أقوال المفسرين هو الذي وجّه ببناء مسجد الضرار للأهداف الخبيثة التي فضحها الله تعالى وأطلع عليها رسوله صلى الله عليه وسلم

باب: تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم من ادعى استقسام إبراهيم وإسماعيل بالأزلام،

وقول الله عز وجل: (وإذ قال إبراهيم ربِّ اجعل هذا البلد آمناً واجنُبني وبَنِيَّ أن نعبد الأصنام)[113]

إن الكذب على الله ورسله وأنبيائه ديدنٌ قديم لأعداء الله وأعداء الرسل وأعداء التوحيد؛

فمن الكذب على الله كذب اليهود والنصارى على الله في ادعائهم الذي ذكره الله تعالى عنهم وأكذبهم فيه: **(وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحبّاؤه قل فلم يُعذبّكم بذنوبكم بل أنتم بشرٌ ممن خلق)**[114]،

ومن كذبهم العام على الله ما سجله القرآن الكريم: **(ألم ترَ إلى الذين يُزكّون أنفسهم بل الله يزكّي من يشاء ولا يُظلمون فتيلاً. انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به إثماً مبيناً)**[115]،

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:" قال الحسن وقتادة: نزلت هذه الآية وهي قوله **(ألم ترَ إلى الذين يُزكّون أنفسهم)** في اليهود والنصارى حين قالوا: **(نحن أبناء الله وأحبّاؤه)**"[116]، وقال رحمه الله: "وقوله **(انظر كيف يفترون على الله الكذب)** أي في تزكيتهم أنفسهم ودعواهم أنهم أبناء الله وأحبّاؤه، وقولهم **(لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى)**[117]، وقولهم **(لن تمسّنا النار إلا أياماً معدودة)**[118]"[119]،

---

[113] سورة إبراهيم – آية ٣٥
[114] سورة المائدة – آية ١٨
[115] سورة النساء – آية ٤٩-٥٠
[116] تفسير ابن كثير – ٤٣١/٢
[117] سورة البقرة – آية ١١١
[118] سورة القبرة – آية ٨٠
[119] تفسير ابن كثير- ٤٣١/٢

ومن كذبهم على الرسل اتخاذهم جبريل عليه السلام عدواً لهم، حيث قال الله تعالى: **(قل مَن كان عدوّاً لجبريل فإنه نزّله على قلبك بإذن الله مصدقاً لما بين يديه وهدىً وبشرى للمؤمنين. من كان عدوّاً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدوٌ للكافرين)**[120]،

قال الإمام الطبري رحمه الله:" أجمع أهل العلم بالتأويل جميعاً على أن هذه الآية نزلت جواباً لليهود من بني إسرائيل إذ زعموا أن جبريل عدوٌ لهم، وأن ميكائيل وليٌ لهم"[121]،

قلت: والشاهد أن مسلك الكذب والافتراء على الله وعلى الرسل مسلكٌ قديمٌ مفضوح، قد سلكه المبطلون والمرجفون من قبل، وقد فضحه الله تعالى في كتابه وعلى لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم من قبل، وهكذا كان دأبهم مع إبراهيم عليه السلام قديماً كما هو شأنهم اليوم قريباً وهم ينسبون إليه دين اليهودية والنصرانية المشركة زوراً وبهتاناً وكذباً وافتراءً على الله ورسله،

ففي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم لما رأى الصور في البيت[122] لم يدخل حتى أمر بها فمُحيت، ورأى إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بأيديهما الأزلام فقال: ‘‘قاتلهم الله، والله إنْ استقسما بالأزلام قط"[123]، والأزلام سهامٌ كانوا يستقسمون بها عند الكعبة وهي من مظاهر الشرك التي حرمها الله وأبطلها رسوله صلى الله عليه وسلم، وكانت قد رُسمت تلك الصور الباطلة في داخل الكعبة.

وفي رواية: "قاتلهم الله، أما والله لقد علموا أنهما لم يستقسما بها قط"[124]،

---

120 سورة البقرة – آية ٩٧-٩٨
121 تفسير الطبري – ٦٣٨/١
122 أي في الكعبة
123 صحيح البخاري – حديث ٣٣٥٢
124 صحيح البخاري – حديث ١٦٠١

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: وقوله (لقد علموا) قيل وجه ذلك أنهم كانوا يعلمون اسم أول من أحدث الاستقسام بها وهو عمرو بن لُحَيّ، وكانت نسبتهم إلى إبراهيم وولده الاستقسام بها افتراءً عليهما لتقدمهما على عمرو"[125]،

قلت: سبحان الله، كأن هذا نصٌ فيما نحن فيه، فقد افترى المبطلون نسبة اليهودية والنصرانية إلى إبراهيم عليه السلام وهم يعلمون تقدم إبراهيم عليه السلام على تاريخ ابتداع هاتين الديانتين الشركيتين، كما افترى مشركو قريش نسبة الاستقسام بالأزلام إلى إبراهيم وإسماعيل وهم يعلمون أن الذي أحدث هذا – وهو عمرو بن لُحي – قد جاء بعد زمان إبراهيم وإسماعيل عليه السلام!

والمقصود أن افتراء الكذب على الله ورسله وأنبيائه مسلكٌ قديمٌ مفضوح، قد حذّر الله تعالى ورسولُه صلى الله عليه وسلم منه، وإن الذين كذبوا على نبي الله إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام قديماً فنسبوا إليهما أعمال الشرك كالاستقسام بالأزلام، والذين يكذبون على إبراهيم عليه السلام حديثاً فينسبون إليه ديانتي الشرك المحرفتين اليهودية والنصرانية، والذين يكذبون على محمد صلى الله عليه وسلم فيزعمون أن ما جاء به من التوحيد الخالص لا يختلف عما افترته اليهودية المحرفة التي ألحدت في أسماء الله وكذبت بعيسى ومحمد عليهما السلام ولا عما افترته النصرانية المحرفة من ادعاء ألوهية عيسى وهو البريء منهم ومن دعواهم وادعاء الولد لله فيسوّون بين ذلك جميعاً وينسبونه زوراً وبهتاناً إلى ملة إبراهيم عليه السلام الحنيف المسلم إن هؤلاء جميعاً إنما يَرِدون مورداً واحداً من الكذب والافتراء والتدليس على الناس، ويقصدون مقصداً واحداً هو صدُّ الناس عن الدين الحق وتمييعه ليلتبس عليهم فيضلوا عنه فيكونوا في الضلال سواء، وهذا منهج أئمة الكفر من أهل الكفر من أهل الكتاب ومن شايعهم في صدّ الناس عن الدين الحق، تأمل كيف أنكر الله عليهم وفضح مسلكهم وكشف خبابا نواياهم وغاياتهم: (**ودّت طائفةٌ من أهل الكتاب لو يُضِلّونَكم وما يُضِلّون إلا أنفسهم وما يشعرون. يا أهل الكتاب لِمَ تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون. يا أهل الكتاب لِمَ تَلبِسون الحق بالباطل وتكتمون**

---

[125] فتح الباري شرح صحيح البخاري – ٢٦٩/٤

الحق وأنتم تعلمون. وقالت طائفةٌ مِن أهل الكتاب آمنوا بالذي أُنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون. ولا تؤمنوا إلا لِمن تَبِع دينكم قل إنَّ الهدى هدى الله أَنْ يُؤتى أحدٌ مثل ما أوتيتم أو يُحاجّوكم عند ربكم قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسعٌ عليم. يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم) [126]،

ويكفي المسلم في التحصن من هذه المكائد أن يعتصم بما أنزل الله تعالى من بيان حقيقة عقيدة إبراهيم عليه السلام وما أراده لذريته من بعده مما دعا الله لهم به، ليعلم حقيقة كذب وافتراء المدّعين نسبة ديانة الشرك اليهودية والنصرانية إليه، كما في آية الترجمة من قول الله عز وجل: **(وإذ قال إبراهيم ربِّ اجعل هذا البلد آمناً واجنُبني وبَنِيَّ أن نعبد الأصنام)**[127]،

فأما الأمان الذي دعا به صلوات الله وسلامه عليه فهو أمان التوحيد كما تقدم من دعائه : **(وإذ قال إبراهيم ربِّ اجعل هذا بلداً وارزق أهله من الثمرات مَن آمن منهم بالله واليوم الآخر)**[128]،

وأما ما وصّى به ذريته ودعا لهم به فهو التزام التوحيد واجتناب عبادة الأصنام من وثن وعَجلٍ وصليب وغير ذلك، فإبراهيم عليه السلام بريء من ذلك كله،

قال الحافظ ابن كثير في قوله تعالى **(وإذ قال إبراهيم ربِّ اجعل هذا البلد آمناً واجنُبني وبَنِيَّ أن نعبد الأصنام)**[129]:

"يذكر تعالى في هذا المقام محتجاً على مشركي العرب بأن البلد الحرام مكة إنما وُضعت أول ما وُضعت على عبادة الله وحده لا شريك له، وأن إبراهيم الذي كانت عامرةً بسببه آهلة تبرّأ ممن عبد غير الله"[130]،

---

126 سورة آل عمران – آية ٦٩-٧٤
127 سورة إبراهيم – آية ٣٥
128 سورة البقرة – آية ١٢٦
129 سورة إبراهيم – آية ٣٥
130 تفسير ابن كثير – ٦٣٨/٤

فإبراهيم عليه السلام بريء كل البراءة من كل دين مبتدعٍ بعده فيه عبادة غير الله من ولدٍ مُدّعي، أو صاحبةٍ مُدّعاة، أو عجلٍ أو صليبٍ أو كاهنٍ أو حَبرٍ أو غير ذلك، وإن القرآن الكريم والسنة المطهرة والعقل السليم يكذب كلُّه دعوى مَن ادعى انتساب شيء من الشرك ومظاهره إلى إبراهيم عليه السلام وإلى دعوة إبراهيم عليه السلام وإلى دين إبراهيم عليه السلام، ويُكذّب من يلبّس على الناس باسم إبراهيم– الجد المشترك لموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم – ليُلبّس باسم "الديانات الإبراهيمية" أو "الوثيقة الإبراهيمية" أو "البيت الإبراهيمي" أو العائلة الإبراهيمية" أو غير ذلك من التلبيسات:

أَمُفترينَ الكذبَ على الإلهِ وعلى رسولِه الخليلِ إبراهيمْ

تزعمون تارةً أنّه يهوديْ ونصرانيٌّ تارةً يا كاذبينْ

أتنسِبون الخليلَ لِدينِ شِركٍ كيفَ، وقد سمّانا المسلمينْ

وقدْ طهّرَ البيتَ لطائفينَ مِن رُكّعٍ سُجودٍ ومُوَحِدينْ

ألا إنَّ دِينَ الله واحدْ دينْ موسى وعيسى وإبراهيمْ

وقد ختمَ اللهُ خِتامَ مِسْكٍ بشرعِ محمدِ الهادي الأمينْ

ألا إنَّ دِينَهُمُ جميعاً هو الإسلامُ هو خيرُ دِينْ

باب: فصل الخطاب في إسلام إبراهيم عليه السلام

وكفر اليهود والنصارى وبطلان انتسابهم إلى دين إبراهيم عليه السلام،

وقول الله عز وجل: (وما أُنزِلَت التوراة والإنجيل إلا مِن بَعده)[131]

وهذا الباب الجامع لكل ما تقدم، أسرد آياته كاملةً ليستعيد بها المسلمون المؤمنون بالله توازنهم في التعامل مع هذه المسألة، وليعلم من كان يريد الحق أن الحق بيّنٌ واضح لمن قصَدَه، ولتقوم الحجة على من عاند في ذلك وجحد شهادة الله وقدّم عليها – وبئس ما قدم – تفاهات عقله وأكذوبات أئمة الكفر المحرّفين للكتب المخالفين للرسل المكذبين بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم؛

قال الله عز وجل: **(يا أهل الكتاب لِمَ تُحاجّون في إبراهيم وما أُنزِلَت التوراة والإنجيل إلا مِن بَعدِه أفلا تعقلون. ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علمٌ فلِمَ تُحاجّون فيما ليس لكم به عِلم والله يعلم وأنتم لا تعلمون. ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين. إن أولى الناس بإبراهيم لَلّذين اتّبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله وليّ المؤمنين)**[132]،

لقد قدمنا فيما سبق من الآيات والأحاديث التي تمثل الحجج النقلية القاطعة على بطلان دعوى إبراهيمية اليهودية والنصرانية، ونثبت في هذا الباب ما يجمع الحجة النقلية الصحيحة مع الحجة العقلية الصريحة كما وردت في كتاب الله عز وجل حتى لا يتبقى لطالبٍ للحق عذرٌ ولا شبهة، وحتى لا يتمكن ساعٍ بالضلالة من بث ضلالاته بين الناس بتلبيس أو كذب،

---

131 سورة آل عمران – آية ٦٥

132 سورة آل عمران – آية ٦٥-٦٨

فأما الحجة العقلية التي أشار الله تعالى إليها بقوله (**أفلا تعقلون**) فتتمثل في قوله تعالى: (**يا أهل الكتاب لِمَ تُحاجّون في إبراهيم وما أُنزِلَت التوراة والإنجيل إلا مِن بَعدِه أفلا تعقلون**)[133]، ووجه الدلالة ما بينه الإمام الطبري رحمه الله: "وأما قوله (**أفلا تعقلون**) فإنه يعني: أفلا تعقلون: تفقهون خطأ قيلكم إن إبراهيم كان يهودياً أو نصرانياً، وقد علمتم أن اليهودية والنصرانية حدثت بعد مهلكه بحين؟"[134]،

وقال الإمام البغوي رحمه الله: " قوله تعالى (**يا أهل الكتاب لِمَ تُحاجّون في إبراهيم وما أُنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده**): تزعمون أنه كان على دينكم، وإنما دينكم اليهودية والنصرانية، وقد حدثت اليهودية بعد نزول التوراة، والنصرانية بعد نزول الإنجيل، وإنما أُنزلت التوراة والإنجيل من بعد إبراهيم بزمانٍ طويل، وكان بين إبراهيم وموسى ألف سنة، وبين موسى وعيسى ألفا سنة (أفلا تعقلون) بطلان قولكم؟"[135].

وأما الحجة النقلية ففي قوله تعالى:(**ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين**)[136]، وقد تقدم الكلام على الآية وغيرها كثير مما في معناها، وإنما أردت التنبيه على اجتماع الحجتين النقلية والعقلية على إثبات إسلام إبراهيم عليه السلام وبطلان نسبة اليهودية والنصرانية إليه.

ثم جاءت الآية الفاصلة بين الفريقين، فريق المدّعين المبطلين المزوّرين، وفريق المؤمنين الخاضعين القانتين الحافظين للعهد المنفذين للوصية كما وصّى بها إبراهيم وكما أمر بإنفاذها رب العالمين، ثم أيدها ببعثة خاتم المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم، فقال الله عز وجل: (**إن أَولى الناس بإبراهيم لَلّذين اتّبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله وليّ المؤمنين**)[137]؛

---

133 سورة آل عمران – آية ٦٥
134 تفسير الطبري – ٢٦٣/٣
135 تفسير البغوي – ٥٠/٢
136 سورة آل عمران – آية ٦٧
137 سورة آل عمران – آية ٦٨

قال الإمام الطبري رحمه الله: "يعني جل ثناؤه بقوله (**إن أولى الناس بإبراهيم**) إن أحقّ الناس بإبراهيم ونصرته وولايته (**لَلذين اتّبعوه**) يعني الذين سلكوا طريقه ومنهاجه، فوحّدوا الله مخلصين له الدين، وسنّوا سننه، وشرّعوا شرائعه، وكانوا لله حنفاء مسلمين غير مشركين، (**وهذا النبي**) يعني محمداً صلى الله عليه وسلم، (**والذين آمنوا**) يعني والذين صدّقوا محمداً صلى الله عليه وسلم، وبما جاءهم به من عند الله، (**والله وليّ المؤمنين**) يقول: والله ناصرُ المؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم المصدِّقين له في نبوّته، وفيما جاءهم به من عنده على من خالفهم من أهلل الملل والأديان"[138].

هذا آخر ما يسّر الله تعالى جمعه على عجالة من الوقت، وقصورٍ في الأداء، غير أنه قد استقامت فيه الحجة، وبانت المحجة، وانقطع عذر الجهل، وانفضح زيف الباطل، فإما أن يوفَّق العبدُ إلى فريق الولاية الإيمانية فيقر بدين الإسلام ديناً حنيفاً قِيماً ملّة إبراهيم وما كان من المشركين، فينخلع عن دعاوى الباطل ويهجر بيوت العبادة المزيفة، ويتبرأ من قول من قال بنسبة اليهودية والنصرانية إلى إبراهيم عليه السلام، وإما أن يركن إلى فريق الولاية الشركية الظالمي أنفسهم المكذبين لشهادة ربهم، والجاحدين نبوة خاتم رسله صلوات الله وسلامه عليه، فيبقوا على كذبهم في ادعاء يهودية إبراهيم ونصرانيته، المتعبدين لله في بيوتٍ غير التي أذن الله تعالى أن تُرفع ويُذكر فيها اسمه، وأختم بكلمة الإمام الطبري رحمه الله: "والله ناصرُ المؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم المصدِّقين له في نبوّته، وفيما جاءهم به من عنده على من خالفهم من أهلل الملل والأديان".

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

وكتب وسيم فتح الله

ثالث أيام التشريق من عام ١٤٤٤ للهجرة النبوية

الموافق ١ يوليو (تموز) ٢٠٢٣ للميلاد

---

[138] تفسير الطبري- ٢٦٥/٣